الحياةُ الثَّقافيَّةُ في سُورية (١٩٢٠_ ١٩٤٦م)

أ.م.د. محمَّد يحيى أحمد عبَّاس **بارق عبَّاس عبيد عبَّاس**

جامعة الأنبار – كلية الآداب

المستخلص

شهدت سورية أثناء فترة الانتداب الفرنسيِّ (١٩٢٠-١٩٤٦م) حركة ثقافية في مجالات عديدة كان أهمها التعليم والصحف والمجلات والمطابع والسِّينما والمسرح، وكانَ منها من نتاج سلطات الانتداب كالسِّينما والمسرح، والبعض الآخر كانَ من نتاج الطبقة المثقفة في المجتمع السوري بمساندة الحكومات الوطنية، التي تشكلت بعد تأسيس الجمعية التأسيسيَّة عام ١٩٢٨م، وقد مارستْ سلطات الانتداب الفرنسيّ طيلة فترة انتدابها على سورية (١٩٢٠ – ١٩٤٦م) سياسة تعسفية، ضدَّ أي حركة ثقافية تهدف الى تثقيف المجتمع السوري، ومحاربتها من أجل القضاء على الثقافة العربية، ومحاولة منها لنشر الثقافة الفرنسية بين شرائح المجتمع السوري، فحاربت التعليم بكافة مراحله، وأهملت إنشاء المدارس الرسمية وأصدرت قوانين قيدت بها حرية التعليم، في الوقت الذي قامت فيه بفتح مدارس أجنبية ودعمها، كان الهدف منها خلق جيل جديد مثقف ثقافة فرنسية، لا تُعارض أفكاره تواجدها في سورية، كما قامت أيضاً بتقييد حرية الصحافة بإصدار قوانين خاصة، قيَّدتْ بموجبها الصحافة، ولاسيما الصحف الوطنية، التي تعمل على تنمية الشعور الوطني، كذلك كان حال المطابع والسينما والمسرح التي مورست ضدها سياسة تعسفية، وقيدت بقوانين خاصة بها لمنعها من ممارسة دورها الثقافي في المجتمع السوري.

كانتْ سياسة الانتداب الفرنسيّ من النَّاحية الثَّقافيَّة في سوريَّة، تهدف إلى معارضة أي نشاط ثقافيٍّ سوريٍّ، والعمل على نشر الثَّقافة الفرنسيَّة ولغتها بين شرائح المجتمع السُّوري، وربطه بالثقافة الفرنسيَّة طيلة فترة الانتداب.

Abstract

Syria witnessed during the period of French mandate (1920 – 1946) cultural movement in different fields such as education, newspapers and magazine, presses, cinema and theater, out of it cinema and theater were the results of French mandate. Others were the result of educated class in Syrian

society by the aid national governments which established after the establishment of constituent association in 1928.

French mandate authorities has practiced along the period of mandate upon Syria (1920 – 1946) arbitrary policy against any cultural movement aimed at educating Syrian society and fighting these movements in order to get rid of Arabian culture and attempting to spread the French culture among chasses of the society; therefore they fought all kinds and stages of education, from other side they neglected establishing official schools, issued rules and regulations limited the liberty of education while they opened and support foreign schools, and the aim was creation of new educated generation with French culture did not contradict with its existence and trends in Syria.

French authorities restricted the freedom of press by issuing special laws and rules restricted press specially daily national newspapers which worked to develop the national feeling, also the same procedures were adopted against press, cinema and theater which restricted by arbitrary laws to prevent their to practice their cultural role in Syrian society.

The French policy during the period of mandate (1920 – 1946) was from cultural point of view aiming at opposing any Syrian cultural activities, and working on spreading French language and culture among the Syrian people and connect them with French culture during the period of mandate.

المقدمة:

بعد هزيمة الدَّولة العثمانيَّة في الحرب العالميَّة الأولى خرجتْ سورية عن سيطرتها، وتشكلت فيها حكومة عربيَّة في دمشق عام ١٩١٨م برئاسة الأمير فيصل بن الحسين إلا أنَّ حكومته لم تعمر طويلاً بعد احتلال فرنسا لدمشق عام ١٩٢٠م تنفيذاً لمقررات مؤتمر "سان ريمو" الَّذي عقد عام ١٩٢٠م بين الحلفاء لتقاسم الأراضي الَّتي خرجتْ عن سيطرة الدَّولة العثمانيَّة بعد نهاية الحرب العالميَّة الأولى، فصارتْ سورية من حصَّة فرنسا التي فرضت عليها الانتداب في العام نفسه. لقد تأثرت الحياة الثَّقافيَّة في سورية أثناء الانتداب الفرنسيّ عليها بسبب محاربة سلطات الانتداب الفرنسيّ لكلِّ نشاط ثقافيّ من شأنه أنْ يؤجج الروح الوطنية والقومية الناشئة في سورية ويعارض وجودها في سورية، ففي مجال التعليم قامت

سلطات الانتداب بمحاربة التعليم العربي وإهماله في كافة مراحله، وسنَّتْ مجموعة من القوانين قيَّدتْ فيها نظام التَّعليم في الوقت الذي عملت على تأسيس العديد من المدارس الأجنبية كان هدفها نشر اللغة الفرنسيَّة وثقافتها بين شرائح المجتمع السوري، وفي مجال الصحافة عارضت سلطات الانتداب حرية إبداء الرأي ومارست سياسة تعسفية ضد الصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك وضيقت على انتشارها بقصد قتل الحركة الثقافية في سورية، وعلى الرغم من كل هذه الاجراءات إلاَّ أنَّه صدر في سورية عدد كبير من الصحف والمجلات أثناء فترة الانتداب الفرنسي (١٩٢٠-١٩٤٦م) والتي كانت رافداً أساسياً في تطور الحياة الثقافية في سورية أثناء تلك الفترة، كما شهدت هذه الفترة بداية تأسيس المطابع في سورية وكانت بداياتها على شكل محاولات فردية قام بها بعض الأشخاص الذين أسسوا عدداً من المطابع في دمشق ومارست دورها في دعم الحياة الثقافية ومناهضة سياسة الانتداب الفرنسي من خلال مطبوعاتها، الأمر الذي دفع سلطاتها لمحاربتها عن طريق سن قوانين قيدت عملها، ولم تقتصر الحياة في سورية (١٩٢٠-١٩٤٦) على التعليم والصحافة وتأسيس المطابع بل اتسعت مظاهر الحياة الثقافية كالمسرح والسينما وهما من نتاج سلطات الانتداب وظهرت خلال هذه الفترة العديد من المسارح ولاسيما في فترة الثلاثينات التي شهدت اتساع رقعة المسرح ليشمل كل أنحاء سورية إلاَّ أنَّ مزاولة المسرح للعمل السياسي دفع سطات الانتداب إلى إغلاق عدد منها والتضييق على البعض الآخر، أمَّا السينما فقد شهدت انطلاقة كبيرة في سورية ابتداء من عام ١٩٢٨م ليشهد في أوائل الثلاثينيات تأسيس عدد من الشركات السينمائية مثل (حرمون فلم، وهيلوس فلم) إلاَّ أنَّهُ على الرَّغم من الرِّعاية الفرنسيَّة لها إلاَّ أنَّها فرضتْ عليها قيوداً ولاسيما فيما يتعارض مع تواجدهم في سورية.

أولاً: التَّعليم:

بعدَ تقهقرِ الجيشِ العثمانيِّ في سورية، وقيام الحكومة العربيَّة بزعامة الأميرِ فيصل بن الحسين، ومعَ أنَّ عمر الحكومة العربيَّة الذي لم يدمْ سوى سنة وعشرة أشهر، من الثلاثين من أيلول عام ١٩١٨م إلى الرَّابع والعشرين من تموز عام ١٩٢٠م، إلا أنَّ السِّياسة التَّعليميَّة الَّتي اتَّبعتْها الحكومة العربيَّة كانت لها آثارٌ بعيدةٌ في تسيير عجلة التَّعليم[١].

كانَ تشجيعُ العلمِ دليلاً على إحساس الحكومة العربيَّة بقيمة الثَّقافة وأهمِّيتها في دعم الحركة القومية، إلا أنَّ هناك مشاكل واجهت الحكومة العربية، وهي مشكلة اللغة العربية، فقد

كانت اللغة التركية هي اللغة الرَّسميَّة في الحكومة والتَّدريس، وكان لابدَّ من تحوُّل اللغة في جميع مرافق الدولة، وتمَّ ذلك فعلاً بسرعة فائقة، واستطاعت الحكومة من النُّهوض بالتَّعليم وإنشاء المدارس[٢]، فقد عنيتِ الحكومة العربيَّة بتوجيه التَّعليم وجهة وطنيَّة قوميَّة، وشددتْ على أنْ يكونَ أساس التَّعليم في المدارس الرَّسميَّة والخصوصيَّة واحداً، على أساس المبادئ الوطنية، كما جعلتِ الحكومةُ التَّعليمَ الابتدائيَّ إجباريَّاً، وفي المدارس الرَّسميَّة مجانيَّاً[٣].

وبعد فرض السيطرة الفرنسيَّة على سورية بموجب صكِّ الانتداب عام ١٩٢٠م، تخوَّفَ الفرنسيُّونَ من خطر القوميَّة العربيَّة الناشئة، فعمدتْ حكومة الانتداب إلى مناهضة تعليم اللغة العربية وانتشارها، وحاولت ربط الثقافة العربية السورية بالفكر الفرنسي، فقامت بفتح مدارس أجنبية جديدة، تهدف إلى نشر الثقافة واللغة الفرنسية، وبالمقابل أهملت المدارس العربية، كما وأهملت تخريج المدرسين والمعلمين العرب، في الوقت الذي نشرت فيه لغتها وثقافتها في جميع أنحاء سورية[٤]، ومن أجل ضمان السيطرة على التعليم، عمدت حكومة الانتداب إلى سن قوانين وأنظمة تضمن لهم ذلك، فقاموا بإدارة شؤون التعليم إدارة مباشرة، وفرضوا تعليم اللغة الفرنسية على جميع المدارس[٥]، وجعلت لكل مدرسة حكومية مديراً واحداً للدروس الفرنسية، التي احتلت مكاناً بارزاً في المنهاج التعليمي مع أنَّ التعليم كان باللغة العربية، كما قامت حكومة الانتداب بفتح العديد من المدارس الفرنسية الخاصة، وخصصوا لها المعونات اللازمة، وكان التعليم فيها متاحاً للأقليات الدينية من أجل كسب ولائهم لها[٦].

وعلى عكس المدارس الفرنسيَّة الخاصة، فقد قامت حكومة الانتداب بالتضييق على المدارس الرسمية في نفقاتها، كما أهملوا فتح المدارس الصناعية بنوعيها الفني والزراعي مع حاجة البلاد إليها، كما أنهم لم يتوسعوا في التعليم العالي والإيفاد والتعليم الثانوي[٧]، بينما نعمت المنظمات التبشيرية ولاسيما هيئات التعليم اليسوعي بالحرية المطلقة، ومدتها بالمساعدات اللازمة وبمختلف أشكال الدعم والتأييد؛ لأنَّ عمل هذه المنظمات محدد باستراتيجية الاستعمار ذاته والغاية منها تنشئة أجيال مرتبطة بفرنسا، تعمل لخدمتها ومصالحها، ومتنكرة للغة البلاد وتقاليدها الوطنية[٨].

لم تقمْ حكومةُ الانتدابِ في سنواتها الأولى بوضع قانون للتعليم، وأبقت على قانون التعليم العثماني المؤقت الصادر سنة ١٩١٣م حتى عام ١٩٣٣م، حيث وضعت في السادس من تموز عام ١٩٣٣م قانوناً جديداً للتعليم، حددت فيه مراحل التعليم ودرجاتِ السُّلَّمِ التعليميِّ،

كما وضعت المناهج المدرسيَّة وأنظمة الامتحانات العامة، والإشراف على المدارس الأهلية والأجنبية في كافة أنحاء سورية[٩]، وجاء تحديد مراحل التعليم طبقاً لنظام التعليم الفرنسي، وقسِّم إلى مرحلة التعليم الابتدائي ومدتها خمس سنوات؛ ومرحلة التعليم الثانوي ومدتها سبع سنوات؛ ومرحلة التعليم العالي ومدتها ثلاث سنوات[١٠]، وأدخل قانون عام ١٩٣٣م فيما بعد، رياض الأطفال ضمن السلم التعليمي العام، وعدَّت رياض الأطفال درجة من درجات التعليم في سورية، وحدد فترة الانتساب إليها من سنِّ الثالثة وحتَّى سنِّ السادسة، ووضَّح القانون كيفية توزيع الأطفال إلى مجموعات، وقدمت لها المساعدات الماديَّة بهدف تشجيعها[١١].

لم يتحسَّنْ حال التَّعليم كثيراً في فترة الانتداب الفرنسي، مقارنة بالفترة الَّتي سبقته إذْ لم يتوسع إطار التعليم إلا من ناحية ازدياد عدد المدارس الأجنبية وتوسعها، ولاسيما التَّبشيريَّة منها مثل: كلية حلب الأمريكيَّة البروتستانتيَّة، ومعهد الفرانسسيكان والمدرسة العلمانيَّة الفرنسيَّة؛ وذلك بسبب سياسة الانتداب ومحاربتها للتعليم الوطني[١٢]، وبسبب قلة المدارس بقي التَّعليم في الكتاتيب مستمراً، بل وازداد عدد الكتاتيب، ويؤكِّدُ إحصاء أُجري عام ١٩٣٤م وصول عددها الى (١١٥) في حماة فقط، وطلابها قرابة أربعة آلاف طالب[١٣].

لم تكتفِ حكومةُ الانتدابِ بمحاربة التَّعليمِ الرَّسميِّ، والقضاء على اللغة العربيَّة عن طريق فتح مدارس خاصة، بل سعتْ أيضاً من أجل الهيمنة على المدارس الطائفية وذلك بطريقتين: الأولى: منحها إعانات سنويَّة لقاء حملها على العمل المراد منها؛ والثانية: إرسال معلمين إلى تلك المدارس لتدريس اللغة الفرنسية ولكن تأثير السياسة الفرنسية على هذه المدارس كان ضعيفاً؛ ذلك أنَّ القائمين عليها كانوا يحافظون على منزلة اللغة العربية وآدابها، ولا يحاربون الثقافة العربية[١٤].

ثارَ الشَّعبُ السُّوريُّ ضدَّ سياسة الانتداب عام ١٩٢٥م، وطالبوا بإصلاحات عديدة، كان من ضمنها إصلاح نظام التعليم ولكن دون جدوى، ووضعت حكومة الانتداب المخططات لتقليص التعليم الديني، وإحلال التعليم اللاديني مكانه، كما وضعوا منهاجاً لتشويه التعليم الديني الإسلامي[١٥].

تضاعفت عدد المدارس الأجنبية في سورية وتعاظم أثرها، إلا أنها ما لبثت أنْ تراجعت عن مقصدها المعلن، بعد أنْ عارضتها معظم شرائح المجتمع السوري، مما جعلها تصبُّ اهتمامها على نطاق محدود الأفق، بتدريس مذاهبها الدينية[١٦].

ظلت شؤون التعليم في سورية تدار من قبل سلطات الانتداب، ووفقاً لرغباتهم عن طريق المستشارين الفرنسيين المشرفين على أمور التعليم وأنظمته، يراقبونه وفقاً لمصلحتهم[١٧]، وحرصوا على زيادة حصص تدريس اللغة الفرنسية في المدارس، وجعلوا لتاريخ فرنسا وجغرافيتها أهمية خاصة في منهاج المدارس[١٨]، كما كانت تخصُّ اللغة الفرنسية باحترام كبير، وامتيازات هامة في الامتحانات العامة، تخالف جميع أسس التربية والتعليم، فعلامات اللغة الفرنسية في امتحانات الشهادة الابتدائية، كانت تقارب ثلث مجموع العلاقات، وتزيد على مجموع العلامات المخصصة للتاريخ والحساب والجغرافيا والهندسة جميعاً[١٩].

لقد ظلَّ المجتمع السوري يعاني من محاربة سلطات الانتداب للتعليم لسنوات عديدة، من مدة الانتداب حتى التعليم في المدارس الأجنبية، التي حرصت الحكومة الانتدابية على إنشائها، فلم يُفِدْ منها سوى بعض الأقليات الدينية المسيحية من المجتمع السوري، التي رضيت أنْ تكون في خدمة سلطات الانتداب الفرنسي[٢٠]، ولم تكن المدارس الأجنبية التي أنشأتها حكومة الانتداب فرنسية فقط، بل سمحت بإنشاء مدارس (أمريكية، وإنكليزية، وإيطالية، ودنماركية) وكان العديد من هذه المدارس، هو عبارة عن بيوت تتبع لرؤساء الطوائف الدينية والإرساليات الفرنسية[٢١].

في المقابل لم تتوسعْ حكومة الانتداب بالمدارس الرسمية، إلا الشيء القليل، فلم يكن في سورية أثناء فترة الانتداب الفرنسي سوى خمسة مدارس ثانوية، في كلٍّ من دمشق وحلب وحمص ودير الزور ومدرستان للبنات في دمشق وحلب فقط، أمَّا التعليم العالي فمع أنه كان موجوداً أثناء حكم فيصل بن الحسين، الذي أعاد افتتاح كلية الطب وأنشأ كلية الحقوق، إلا أنَّ التعليم العالي لم يكن له وجود في سورية إلا نظرياً حتى عام ١٩٢٣م، حيث أُنشأت الجامعة السورية بقرار رقم ١٣٢ في الخامس عشر من حزيران ١٩٢٣م[٢٢]، ومع اعتراف حكومة الانتداب بها، إلا أنَّها ظلتْ تعارضُ الجامعة وتضع أمامها العراقيل[٢٣]، واضطرت حكومة الانتداب الفرنسي بعد أنْ لاقتْ معارضة قوية وثورة عارمة، شملت معظم أنحاء سورية في عام ١٩٢٥م[٢٤]، ونتيجة لسياستها الاستعمارية وإصرار الشعب على الاستقلال، اضطرها فيما بعد على إنشاء أول جمعية تأسيسية في عام ١٩٢٨م، وأعلنت سورية جمهورية برلمانية[٢٥].

وقد استلم رئاسة الجمهورية السورية بعد إجراء الانتخابات البرلمانية السيد "محمد تاج الدين الحسني"[٢٦] في الخامس عشر من شهر شباط عام ١٩٢٨م ، وأيقنت الحكومة أنَّ نشر التعليم الابتدائي في المدن والقرى هو العامل الأكبر في النهوض بالدولة السورية، فوجهته وجهة عملية وبأسلوب يختلف بعض الاختلاف في القرى عن المدن، وفي تعليم الذكور عن الإناث، كما أنَّها لم تغفل عن التعليم الثانوي والتعليم العالي والصناعي والتجاري والزراعي، كما عنيت بدور المعلمين والمعلمات، وخرجت منهم العشرات في مدارس فرنسا العليا؛ لتكوين أخصائيين في العلوم والفنون؛ لتغطية النقص الذي كان حاصلاً في مختلف المجالات، كما ضاعفت الحكومة من موازنة التعليم بكافة أشكاله ومراحله، إذ كانت سياستها هي محاربة الجهل والأمية، ونشر العلم والمعرفة بين مختلف شرائح المجتمع السوري[٢٧].

وقد قامت الحكومة السورية بإنشاء بعض المدارس على الطراز الحديث، فضلاً عن استبدال بعض المدارس غير الصالحة للدراسة في المدن، وأنزلت التلاميذ بمدارس صحية فسيحة، ومن المدارس التي انشأتها الحكومة هي: مدرسة الزبداني ومدرسة حرستا ومدارس منبج وإعزاز وحارم وإدلب وغيرها، واهتمت الحكومة بالتعليم الصناعي في المناطق التي لم يكن فيها للصناعة من أثر، مثل: لواءي حوران ودير الزور، وجلبت الحكومة عشرات من أبناء تلك المناطق للدراسة في المدارس الصناعية في حلب ودمشق، واستطاعت الحكومة خلال مدة حكمها في ثلاث سنوات من زيادة عدد التلاميذ، فقد بلغ عدد التلاميذ سنة ١٩٢٨م (١٧٧٨٥) تلميذاً و(٥٦٠١) تلميذة، وارتفع عددهم نتيجة اهتمام الحكومة بالتعليم ليصبح في عام ١٩٣٠م (٢٣٢٨٧) تلميذ و(٨٦٤٩) تلميذة، كما أنشأت الحكومة مدرسة الأدب العليا في دمشق في التاسع من تشرين الثاني ١٩٢٩م[٢٨].

لم ترق للسلطات الانتدابية الأعمال الكبيرة التي قامت بها الحكومة الوطنية في مجال التعليم خاصة، فأمرت بحلِّ الحكومة وإجراء انتخابات جديدة تتبعها مفاوضات ومعاهدة عام ١٩٣٦م[٢٩].

لم يغب اهتمام الحكومة الوطنية عن التعليم خلال فترة الحكم الوطني الممتدة من ١٩٣٦-١٩٣٩م برئاسة السيد عبد الرحمن الكيالي[٣٠]، الذي أكد بدوره على ضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم حيث قال "أننا بحاجة لمكافحة الجهل والأمية وترقية التعليم في القرى والأرياف" ووضعت الحكومة برنامج لإصلاح التعليم يتلخص بما يلي:

أ- إصلاح مناهج التعليم وطرق التدريس وكتبها وإعدادها.
ب- إصلاح هيئة التعليم بإنشاء دار معلمين عليا، وإرسال البعثات من المعلمين إلى الخارج.
ج- إصلاح الأنظمة الداخلية للمدارس بكافة أنواعها، فضلاً عن دور الحضانة وزيادة عددها وإقامة مباني خاصة لها.
د- تأسيس المدارس الريفية والمهنية في الأقضية والقرى الكبرى[٣١].

ومع كل هذه الإصلاحات الكبيرة في مجال التعليم خلال فترة الحكم الوطني إلا أنَّ الزيادة الحاصلة في عدد المدارس الابتدائية كان أقل بكثير من المطلوب، ولم تكن تستوعب جميع أعداد الطلاب الراغبين بالدراسة[٣٢].

شهد التعليم في سورية بعد إعلان استقلال سورية عن الإدارة الفرنسية عام ١٩٤١م، وإنْ كان هذا الاستقلال شكلياً، فبعد فوز الحركة الوطنية بالانتخابات، عملتْ على الفور بإعطاء التربية والتعليم طابعها العربي السوري، ووجهته وجهة قومية عربية، وألغت النظام القديم[٣٣]، كما استدعت الحكومة وزير المعارف في عهد الحكم الفيصلي الأستاذ "ساطع الحصري" لتنظيم شؤون التعليم، فأصدرت الحكومة قانون المعارف الجديد رقم (١٢١) الخاص بتنظيم التعليم العام في الحادي والعشرون من كانون الأول عام ١٩٤٤م، ونصَّ القانونُ الجديدُ على عدم جواز تدريس أي لغة أجنبية في المدارس الأولية، أي: إلغاء تدريس اللغة الفرنسية بعد أنْ كانت تدرس فيها، ونصَّ القانونُ الجديدُ على أنْ يبدأ بدراسة لغة أجنبية في السنة الأولى من المرحلة الثانوية، ولغة أجنبية ثانية في السنة الخامسة من المرحلة نفسها، ويكون للطالب حرية اختيار اللغة الفرنسية واللغات الأجنبية الأخرى[٣٤]، كما تضمن أول دستور سوري بعد الاستقلال، على إلزامية التعليم الابتدائي لجميع السوريين من ذكور وإناث، ومجانيته في المدارس الرسمية[٣٥].

وقد حقَّقَ نظام التعليم الجديد الصادر سنة ١٩٤٤م تطوراً هاماً في المناهج التعليمية، مكَّنَ سورية من الابتعاد عن النظم الفرنسية، والاهتمام باللغة العربية والمواد العلمية[٣٦].

أنشأت الحكومة الوطنية عدداً كبيراً من دور المعلمين والمدارس العلمية، وإكمال بناء المدارس التي بوشر فيها سابقاً، فقد قامت ببناء دار للمعلمين بدمشق وأخرى للمعلمات ودار للمعلمين في حلب، فضلاً عن بناء عدد من المدارس في مختلف البلاد، فقامت ببناء مدارس

ثانوية في كلٍّ من حمص ودير الزور وطرطوس واللاذقية وحلب، وأتمَّتْ بناء مدارس مثل: مدرسة النبك، وجيرود، ومدرسة ارمناز وسراقب[٣٧].

أثار قانون التعليم الجديد غضب فرنسا، وأثار خلافات شديدة بين الحكومة السورية والحكومة الفرنسية، ترتَّب عليها ضرب دمشق بالقنابل سنة ١٩٤٥م[٣٨]، وقد أدَّى ذلك إلى ردِّ فعلٍ عكسيٍّ لدى السوريين، فقاطعوا المدارس الفرنسية، التي ما لبثت أنْ أغلقت أبوابها نهائياً، ونُظِّمَ التعليمُ وفق القانون الجديد على ثلاث مراحل: المرحلة الابتدائية ومدتها خمسُ سنوات؛ والمرحلة الثانوية ومدتها ستُّ سنوات؛ أربعٌ منها للتعليم المتوسط؛ واثنان للدراسة الإعدادية، وزيدتْ فيما بعد لتصبح ثلاث سنوات، كما نُظِّمَ التعليمُ المهنيُّ ومعاهدُ إعدادِ المعلمينَ ومرحلة التعليم العالي[٣٩].

وقد تجلَّى الاهتمام الكبير بزيادة عدد المدارس في سورية بعد سنة واحدة من تطبيق نظام المعارف الجديد، وبلغ عدد المدارس الابتدائية الرسمية خلال السنة الدراسية (١٩٤٤-١٩٤٥م) (٦٥٨) مدرسة موزَّعةً على مختلف أنحاء البلاد، وكان منها (٥٤٢) مدرسة للذكور، و(١١٦) مدرسة للإناث[٤٠]، ولم تهمل الحكومة رياض الأطفال، فقد أنشأت وزارة المعارف روضتين جديدتين في دمشق وحلب سنة (١٩٤٥-١٩٤٦م) يُقبلُ فيها الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سنِّ الرابعة والسادسة[٤١].

أما التعليم العالي فكان حتَّى سنة ١٩٤٦م يتألف من كلية الطب والحقوق، اللتين تأسستا في عهد الحكومة العثمانية، وأغلقتا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، إلى أنْ أُعيد افتتاحهما في عهد الحكومة العربية سنة ١٩١٩م، فكوَّنتا نواة الجامعة السورية، وقد أضيف لهما سنة ١٩٢٨م مدرسة عالية للآداب، ولكنها أُلغيتْ سنة ١٩٣٣م بقرار من سلطات الانتداب الفرنسي، وظلَّ التعليم العالي مقتصراً على كليتي الطب والحقوق حتَّى عام ١٩٤٦م، إذْ صدر مرسوم حكومي برقم (٤٠) بتاريخ الحادي عشر من شهر أيلول ١٩٤٦م، والقاضي بإنشاء أقسام جديدة تبدأ بكليات الآداب والعلوم والهندسة والمعلمين العالية، على أنْ تكون كلية الهندسة في حلب، وسائر الكليات الأخرى في دمشق، وعلى أنْ تنشأ كليتا الزراعة والتجارة بعد فترة من نشوء الكليات السابقة[٤٢].

لم يستطع التعليم في بداية الانتداب الفرنسي والمرحلة التي سبقته من زيادة نسبة المتعلمين في سورية عن (٢٠%) من نسبة السكان؛ وذلك بسبب محاربة سلطات الانتداب

الفرنسي للتعليم الرسمي، وجعل الأولوية للتعليم الأجنبي، وطبعه بالثقافة الفرنسية؛ من أجل أعداد جيل موالٍ لسلطات الانتداب الفرنسي، إلا أنَّ نسبة المتعلمين في المجتمع السوري قد ازدادتْ بعد سنوات من بداية الانتداب وقيام حكومات وطنية، وضعت التعليم والنهوض به في مقدمة مهامها، لترتفع نسبة المتعلمين إلى (٤٠%)، فقد شهد التعليم تطوراً كبيراً بعد استقلال سورية سنة ١٩٤١م وتشريع قانون التعليم سنة ١٩٤٤م، وليتخلص نظام التعليم نهائياً من تدخُّل الحكومة الفرنسية، ثمَّ جلاؤها عن سورية في السابع عشر من نيسان ١٩٤٦م[٤٣].

ثانياً _ الصحف والمجلات:

شهدت الصحافة السورية تطوراً لافتاً في عهد الحكومة العربية الفيصلية (١٩١٨-١٩٢٠م)، فظهرت العديد من الصحف والمجلات خلال هذه الفترة، التي نعمت فيها الصحافة بالحرية، وقدِّمتْ لها المساعدات من قبل الحكومة العربية بهدف تشجيعها، وقد صدرت في هذه الفترة القصيرة عدد من الصحف منها: جريدة "العاصمة" وهي الجريدة الرسمية الناطقة بلسان الحكومة فضلاً عن صحف أخرى مثل: جريدة "المقتبس" و"العروس" و"لسان لعرب" و"نور الفيحاء" و"العقاب" و"حرمون" و"الاستقلال" و"الفلاح"[٤٤]، وإلى جانب الصحف صدرت العديد من المجلات العلمية والثقافية في تلك الفترة، جعلت مهمتها تثقيف المجتمع السوري، وكانت جميع المجلات قد صدرت في دمشق مثل: مجلة "العلم العربي" التي تأسست عام ١٩١٩م ومجلة "المجلة" ومجلة "المدرسة" عام ١٩٢٠م[٤٥].

لم تعمر حرية الصحافة في عهد الحكومة الفيصلية طويلاً، وذلك بعد قيام فرنسا باحتلال سورية، وتقويض أركان الحكم العربي فيها، وفرض الانتداب عليها، إذْ عملت سلطات الانتداب الفرنسي _وعلى رأسها الجنرال (غوابيه Goabiah)_ على تعطيل الصحف التي ظهرت في العهد الفيصلي مثل: صحيفة "العرب" لسامي السراج، وصحيفة "المصباح" لعبد الودود الكيالي، وصحيفة "الراية" لصاحبها منيب الناطوري التي عطلت نهائياً[٤٦]، مما أدى إلى إخفاء العديد من الصحف التي ظهرت في عهد الاستقلال، وحلَّت محلها صحف أخرى، بعضها ذات نزعات متطرفة، والأخرى ذات نزعات معتدلة[٤٧].

فرضت حكومة الانتداب الفرنسي قيوداً على الصحافة، وأنشأت مكتباً للصحافة بهدف السيطرة عليها؛ لمنع تأجيج أي شعور معادٍ لحكومة الانتداب وسياستها الاستعمارية في سورية[٤٨]، وفرضت رقابة شديدة على الصحف وعلى جميع الرسائل التي تأتي من الخارج،

كما وألزمت سلطات الانتداب الفرنسي أصحاب الصحف بإرسال نسخة من صحفهم إلى دائرة الاستخبارات الفرنسية؛ لغرض مراقبتها وتوجيهها الوجهة الفرنسية؛ بقصد قتل الحركات الوطنية التي مازالت مستمرة آنذاك؛ ومنع انتشار أخبارها، ونتيجة لذلك فقد عُطِّلتْ بعض الصحف لعدة أيام مثل: جريدة "المفيد" أو أنها تُعطَّلُ نهائياً، فيقوم أصحابها بإصدار رخصٍ جديدةٍ بأسماء أخرى.

ولم يقتصر اضطهاد السلطات الفرنسية للصحف، بل شمل أيضاً الصحفيين أنفسهم، وتعرَّضُوا للسجن والتعذيب، ممَّا اضطر بعضهم للهرب من سورية واللجوء إلى البلاد العربية الأخرى، مثل: "محبّ الدين الخطيب" مدير الصحيفة الرسمية الذي هرب إلى القطر المصري(٤٩).

ومع شدة الرقابة والإجراءات التعسفية التي قامت بها سلطات الانتداب الفرنسي، فقد شهدت الحركة الصحفية في سورية نشاطاً كبيراً، فزادت أعداد الصحف وارتفع مستوى بيعها نسبياً، فكانت صحيفة "فتى العرب" أولى الصحف التي صدرت في دمشق وأسسها معروف الأرناؤوط عام ١٩٢٠م، وصحيفة "ألف باء" ليوسف العيسى، وصحيفة "الأنوار" ١٩٢٢م ليوسف الحاج، وصحيفة "الحق" عام ١٩٢٣م لصاحبها محمد صبحي، وصحيفة "المفيد" عام ١٩٢٤م لصاحبيها يوسف ونجيب حيدر(٥٠)، وصحيفة "أبو العلاء المعري" في الثامن والعشرين من آذار١٩٢٤م لصاحبها محمد راغب العثماني، وصحيفة "الأنباء" في السابع والعشرين من آب ١٩٢٦م لصاحبها محمد أبو الخير الدالاتي، وصحيفة "الأمة" في التاسع والعشرين من نيسان ١٩٢٩م لصاحبها عبد الله الأوبري(٥١)، وفضلاً عن صحف دمشق، فقد صدرت العديد من الصحف في حلب في العشرينات منها: صحيفة "الجهاد" لصاحبها محمد فهمي الحفار وعبد القادر الحفار، وصحيفة "الشباب لصاحبها محمد طلس، و"الميثاق" لصاحبها شرف الدين الفاروقي، و"الاتحاد" لصاحبها محمود وهبي، و"الأهالي" لشاكر نعمت الشعباني (٥٢)، كما صدرت صحف أخرى في مدينة اللاذقية منها: "الصدى العلوي" في السابع عشر من نيسان ١٩٢٩م لصاحبها عابد جمال الدين، وصحيفة "اللاذقية" لصاحبيها عبد الحميد حداد وصبحي الطويل، وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، وصحيفة "المنار" لصاحبها المطران أرسانيوس حداد، وهي صحيفة دينية علمية إخبارية(٥٣).

وإلى جانب الصحف ظهرت العديد من المجلات في هذه الفترة ساهمت في رفد الحركة الثقافية، ومن هذه المجلات مجلة "الأخلاء" التي صدرت عام ١٩٢١م لصاحبها جبران نصوح وهي مجلة شهرية، ومجلة "الأبحاث الزراعية" وهي مجلة تعنى بالشؤون الزراعية ومجلة "البيطرة" وهي أيضاً مجلة تخصصية تعنى بتربية الحيوانات، ومجلة "الوحي" لصاحبها محمود عثمان وزكي عثمان، وهي مجلة دينية[٥٤]، ومجلة "المجمع العلمي" التي تأسست لنشر إنتاج المجمع، وصدر العدد الأول منها في الأول من كانون الثاني ١٩٢١م، ومجلة "الشرطة" التي أصدرتها مديرية الشرطة العامة في الخامس عشر من آيار ١٩٢١م، ومجلة "فتى الشرق" التي أصدرها أديب الساعاتي في الحادي عشر من تشرين الاول ١٩٢١م، ومجلة "جادة الرشاد" التي أصدرها حنَّا خبَّاز في الأول من كانون الثاني ١٩٢٣م[٥٥].

لم يغب دور النساء في تأسيس المجلات في سورية، وكانت أول مجلة نسائية صدرت في سورية عام ١٩٢٠م، وهي مجلة "نور الفيحاء" التي أصدرتها نازك العابد، وكانت تصدر في دمشق وهي مجلة نسائية شهرية، كما صدرت في عام ١٩٢٨م مجلة نسائية أخرى في مدينة حمص اسمها "دوحة الميماس" نسائية أدبية وفنية واجتماعية لصاحبتها ماري شقرا[٥٦].

وقد استمرَّ انتشارُ الصحفِ والمجلات وتطورها في سورية، مع أنَّ المندوب السامي الفرنسي الجنرال غورو قد أصدر في السابع والعشرين حزيران ١٩٢١م قراراً برقم (٨٢٤)، والقاضي بإنشاء مكتب للصحافة في دائرة المندوب السامي بدمشق، ومكتب آخر في دائرة معاون المندوب بحلب، وقد أعطى هذا القرار سلطات الانتداب الفرنسي الحقَّ بمراقبة الصحف إلى حد كبير، ومراقبة ما تكتبه الصحف، فإذا لم يرق لها قامت بتعطيلها[٥٧].

مارستْ سلطات الانتداب إجراءات تعسفية ضد حرية الصحافة، فقد كانت تُعطِّلُ كلَّ صحيفة تفوحُ من بين سطورها روح الوطنية، أو حتَّى روح العروبة أو الحنين إلى فيصل ومناهضة الانتداب، وقد تعرَّض معظم الصحفيين السوريين للسجن والغرامات، ولكن مع كلِّ أساليب الكبت والقمع الشديدة لم تتخاذل، وكانت جريئةً تعبِّرُ عن أماني الأمة في الاستقلال[٥٨].

تمتعت الصحافة بنوع من الحرية في دمشق على عهد المفوض السامي (ويغاند weggand)، الذي خلف الجنرال غورو، إذْ لجأَ ويغاند إلى مراوغة البلاد في مطالبها، وقام بالتخفيف من سلطة الرقابة على الصحف ومن اضطهاد الصحفيين، فأصدر في الثلاثين من أيلول ١٩٢٣م عدة قرارات تقضي بإيقاف المراقبة على صحف دمشق فقط، بموجب القرار الصادر رقم (٢١٩٤)، في الوقت الذي أبقى المراقبة على صحف حلب واللاذقية وجبل الدروز، إلا أنَّه ما لبث أنْ أعاد المراقبة بعد أشهر على صحف دمشق مرة أخرى، فعطَّلَ بعضها، وأوقف القانون العثماني الخاص بالصحافة، الذي كان معمولاً به في تلك الفترة، وعهد إلى بعض الوزراء مهمة إعداد مشروع القانون الصحفي، والذي انتهى من مناقشته في الثاني والعشرين من شهر نيسان عام ١٩٢٤م، كما صدر قانون المطبوعات المرقم (٥١٠) في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٤م الذي طُبِّقَ في أنحاء سورية كافة، إلا أنَّ سلطات الانتداب الفرنسي رأتْ في قانون المطبوعات الجديد ثغرةً يجبُ سدُّها وغلق الباب أمام الصحافة السورية؛ خوفاً من انتقاد سلطات الانتداب الفرنسي في الأمور السياسية فزادتْ من قيود الصحافة؛ لتحمي هيبة جيوشها وقوتها العسكرية[٥٩]، فأصدرت قراراً برقم(٢٦٣٠) في السابع والعشرين من شهر آيار سنة ١٩٢٤م، الذي نصَّ على محاكمة الصحفيين والصحف التي ترتكب جرائم ضد سلامة الجيش وأمنه، مثل: تحريض الجنود أو حثِّهم على العصيان أو الفرار أو نشر أخبار ممنوعة عسكرياً[٦٠].

عاشت الصحافة السورية فترات متفاوتة بين الحرية والاضطهاد أحياناً؛ وذلك تماشياً مع عقلية الحاكم الفرنسي، والظروف السياسية داخل البلاد، وما لبثت الصحافة السورية أنْ ذاقتْ طعم الحرية من جديد بعد تولّي (هنري بونسو hennery ponsot) منصب المفوض السامي الفرنسي في سورية، خلفاً للجنرال (ويغاند weggand) الذي ألغى مراقبة الصحف والمجلات، فشعرت الصحافة بنوع من الحرية، فاتسع نطاق صدورها وظهرت صحف جديدة بلغ عددها في دمشق وحدها ثمانية صحف، منها: صحيفة "الاستقلال" لراغب العثماني، وصحيفة "المرصاد" لعبد الهادي اليازجي، وصحيفة "أبو نؤاس" لمهدي اللوجي وأحمد العيناني، أمَّا في حلب فقد صدرت صحيفة "التاج الأمين" لتاج الدين، وصحيفة "الجهاد" لصاحبها محمد فهمي الحفار[٦١]، كما ظهرت إلى جانب هذه الصحف العديد من المجلات،

منها: مجلة "الكشاف" و"الصباح" و"الكرباج" و"هاوار كرملاكردي" و"رسالة العمال" و"المرأة والعاديات"[٦٢].

ظلت الصحافة السورية تعاني بين فترة وأخرى من الإجراءات التعسفية والقرارات الصارمة على نشراتها، فقد صدرتْ بحقِّها عدة قرارات من قبل سلطات الانتداب الفرنسي ومن هذه القرارات والقوانين قانون المطبوعات الصادر عام ١٩٢٤م، الذي تبعه عدة قرارات لاحقة في سنتي١٩٢٥م و١٩٢٦م، الذي صدر أثناء الثورة السورية الكبرى، وكان الهدف منه التضييق على الصحافة، ومنع نشر أخبار الثورة، ثم تبعه ذيل قانون المطبوعات لعام ١٩٣٠م[٦٣]، وظلَّت الصحافة تعاني من الاضطهاد حتَّى معاهدة ١٩٣٦م بين فرنسا وسورية وبداية الحكم الوطني، إذْ عاشت الصحافة السورية شيئاً من الحرية بعيداً عن سلطات الانتداب الفرنسي؛ لوجود حكومة وطنية قوية، غير أنَّ ظروف الحرب العالمية الثانية كبلت الصحافة السورية مرة أخرى، فمع بداية الحرب فرضت عليها الرقابة الشديدة، ومنعت الصحف من التجاوزات وحرم عليها التعرض لسلطات الانتداب الفرنسي[٦٤].

تعسَّفتْ سلطات الانتداب الفرنسي ضدَّ الصحافة، ولاسيما بعد أنْ تخلتْ حكومة الكتلة الوطنية[٦٥] عن الحكم قُبيلَ الحرب، وتسلُّم سلطات الانتداب الفرنسي لأمور الدولة، فعيَّنتْ حكومةً مؤقتةً باسم (مجلس المديرين)، قوامها المدراء العامون لوزارات الدولة، على رأسهم مدير الداخلية العام (بهيج الخطيب) إلى أن استدعت سلطات الانتداب الفرنسي (تاج الدين الحسني) وعينته رئيساً للجمهورية، إلا أنَّ منصب رئيس الحكومة قد شغر من جديد بعد سنتين بعد وفاة تاج الدين الحسيني، الذي شهدت البلاد خلال حكمه أزمات حادة بسبب الحرب، مما زاد من حملات الصحافة ضد الحكومة، إلا أنَّها قوبلت بمزيد من الإغلاق والتعطيل، وخصصتْ بعضَ السجون للصحفيين الذين يتعرضون لسلطات الانتداب في تلك الفترة[٦٦]، وكانت سلطات الانتداب الفرنسي قد أصدرت قراراً برقم (١٩٤ ل . ر) في الثلاثين من آب عام ١٩٣٩م، والذي نصَّ على إخضاع النشرات، ومن أي نوع كانت للمراقبة المسبقة، وموافقة سلطات الانتداب الفرنسي عليها، ومعاقبة المخالفين بالسجن فترة تتراوح من ستة أيام إلى ستة أشهر وغرامة مالية تتراوح من عشرين ليرة إلى مئتي ليرة سوريَّة.

كانت الغاية من صدور هذا القانون، هو منع الصحف من نشر أي أخبار تفيد العدو في الحرب العالمية الثانية، كما منعت سلطات الانتداب الفرنسي أثناء الحرب استيراد أو شراء

أو بيع الورق بكميَّات تزيد على خمسين كيلوغرام، أو أي نوع من أنواع الحبر المستخدم للمطابع، مهما كانتْ كميته إلا بترخيص من سلطات الانتدابِ الفرنسيِّ[٦٧].

لم تمنعِ المعاناتُ الَّتي تعرضتْ لها الصَّحافة السُّوريَّة في فترة الحرب العالميَّة الثَّانية، من تعطيل للصُّحف، واضطهاد للصُّحفيين وسجنهم، فضلاً عن الضَّائقة الماديَّة الَّتي مرَّتْ بها أثناء الحرب، من ظهور صحف جديدة خلال تلك الفترة فقط ظهرتْ عدد من الصحف منها صحيفة "الجبل" في مدينة السويداء عام ١٩٤١م لمؤسِّسها نجيب حرب، الَّذي كانَ يطبعها في دمشق، وصحيفة "الصباح" في عام ١٩٤١م لمؤسِّسها عبد الغني العطري، وهي صحيفة أدبيَّة أسبوعيَّة، ولكنَّها تحولتْ عام ١٩٤٢م إلى مجلَّة سياسيَّة بحجم صغير صدرت باسم "الدنيا"، وصحيفة "العلم" عام ١٩٤٢م لمؤسسها عزة حصرية، وهي صحيفة يومية سياسية صدرت في دمشق واستمرت في الصدور حتى بعد فترة الاستقلال، وصحيفة "النصر" عام ١٩٤٣م لمؤسِّسها وديع صيداوي صدرتْ في دمشق، وهي من الصُّحف الوطنيَّة الَّتي لاقتْ انتشاراً واسعاً في تلك الفترة[٦٨].

شهدتِ الصَّحافةُ السُّوريَّةُ تطوراً كبيراً وظهوراً واسعاً مع بداية العهد الوطنيِّ في شهر آب عام ١٩٤٣م وانتخاب شكري القوتلي[٦٩] رئيساً للجمهورية، نتيجة انتخابات عامة جرتْ في شهر تموز من العام نفسه، بعد تأليف وزارة انتقالية أشرفت على الانتخابات برئاسة عطا الأيوبيِّ[٧٠]، الذي كُلِّفَ من قبل المفوض السَّامي الفرنسيِّ، كان الهدف منها انبثاق عهد دستوريٍّ وطنيٍّ من أجل عقد معاهدة ثنائية بين فرنسا وسورية، إلا أنَّ ذلك لم يحقق لفرنسا ما أرادت، وشدد الحكم الوطنيُّ على سيطرته على مرافق الدولة متجاهلاً كل مصالح فرنسا في سورية، ممَّا أدَّى إلى وقوع صدامٍ بين الطرفينِ في التَّاسع والعشرين من شهر آيار عام ١٩٤٥م، الَّذي انتهى باستقلال سورية وإعلان الجلاء عام ١٩٤٦م[٧١].

خلال العهدِ الوطنيِّ الجديد بدأتِ الصحافة السُّوريَّة تتعرَّف على أجواء سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة لم تألفها من قبل، وتتعامل مع وضع مختلف، وهو وضع وطني استقلالي متكامل[٧٢]، وازداد عدد الصحف بشكل كبير في هذه الفترة حتى الاستقلال، ففي دمشق صدرت صحيفة "البلد" عام ١٩٤٣م، وصحيفة "الحضارة"، و"العلم"، و"دمشق المساء"، و"الجامعة" عام ١٩٤٦م، وفي حلب صدرت صحيفة "التربية" و"الجهاد العربي" و"الجمهورية"

وكلُّها في السنة نفسها ١٩٤٦م، وفي حمص صدرت صحيفتي "الضحى" و"السوري الجديد" عام ١٩٤٦م، وفي حماه صدرت صحيفة "العاصي" عام ١٩٤٤م(٧٣).

لم يقتصر نشاط الحركة الصُّحفية على الصحف فقط، إذ شمل المجلات أيضاً، فظهرت العديد منها، ففي دمشق ظهرت مجلة "العالمان" عام ١٩٤٤م، ومجلة "الأوقاف الإسلامية" ١٩٤٤م، ومجلة "معهد الحقوق"، ومجلة "أصداء"، ومجلة "كل جديد" في العشرين من شهر شباط عام ١٩٤٥م، ومجلة "الدنيا" في التاسع عشر من شهر آذار عام ١٩٤٥م، ومجلة "معهد الحقوق العربي" في نيسان عام ١٩٤٥م(٧٤).

كان الفرنسيون طوال فترة انتدابهم على سورية يتساهلون مع الصحافة فيعطونها حريتها أحياناً، وأحياناً أخرى يتعسفون ويجورون عليها؛ وذلك تبعاً لنفسية الموظف السامي، وفي الحقيقة أنَّ الفرنسيين بوجه الإجمال، كانوا يعرقلون وبكل قوة تقدم الصحافة ويقفون بوجه نهضتها، وفي الوقت الذي كانوا يشجعون الصحف الموالية لهم في لبنان، يدعمونها بالمال ويعملون على توزيعها في سورية لنشر الدعاية لهم، إلا أنَّ الصحافة السورية سرعان ما نهضت من جديد مع بداية العهد الوطني عام ١٩٤٣م واستمر تطورها حتى جلاء الفرنسيين عن سورية عام١٩٤٦م(٧٥).

ثالثاً_ المطابع:

كانت سورية من أوائل البلدان العربية التي عَرفتْ فنَّ الطباعة بعد مصر ولبنان، إذْ كان في حلب حوالي سنة ١٨٨٢م مطبعة للحكومة تطبع بها جريدة "الفرات" الرسمية باللغتين العربية والتركية، وهناك مطبعة للمارونيين تهتم بطباعة الكتب الدينية والمطبعة العزيزية، أما في دمشق فكانت فيها مطبعتين حكوميتين وأخرى أهلية لصاحبها حبيب أفندي خالد(٧٦).

يعتقد أن أول مطبعة تأسست في سورية، كانت في حلب من سنة ١٧٠٢م، ثم توالى تأسيس المطابع وقدِّر عددها بين (١٩٠٦-١٩١٣م) حوالي ستِّ مطابع في حلب وحدها، إلا أنَّها شهدت ركوداً في تطورها مع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، فقد شدَّد الأتراك الخناقَ عليها، كما انقطع ورود الحبر والورق في سورية(٧٧).

مع نهاية الحرب العالمية وخروج الأتراك من سورية وقيام الحكم العربي فيها، ومع أنَّ الحكم العربي كان قصيراً، فقد شهدت سورية ظهور مطابع جديدة فقد أسس (عمر منيمنة) "المطبعة الوصية" في دمشق وأسس خليل الطويل "المطبعة الحديثة"(٧٨).

لم يدم تقدم الفنِّ المطبعيِّ في سورية طويلاً؛ وذلك بعد احتلال فرنسا لسورية، ثم فرض الانتداب عليها، وقد ظلت المطابع بدمشق على حالها مع بداية الانتداب الفرنسي؛ فلم يهتم الفرنسيون بالطباعة إلا الشيء القليل وفق حاجتهم لها، مما أدى إلى ظهور عدد يسير جداً من المطابع الجديدة، كما اختفت مطابع أخرى كانت قائمة قبل بداية الانتداب الفرنسي؛ بسبب وفاة أصحابها أو لكساد الحالة الاقتصادية، ولم يتقدم الفن المطبعي في سورية في بداية الانتداب الفرنسي قَيْدَ أُنملةٍ، بل انتقلت الحركة المطبعية كلها إلى بيروت(٧٩).

مع إهمال الفرنسيين لفنِّ الطباعة في بداية الانتداب الفرنسي، إلا أنَّ سورية شهدت محولات فردية من قبل بعض الأشخاص لتأسيس المطابع، وبالفعل ظهر عدد قليل منها، فقد استطاع عادل الشيخ الأرض عام ١٩٢١م من تأسيس مطبعة "فتى العرب" ومطبعة "الليزيكو" ١٩٢٢م، لمؤسسها جورج فارس، ومطبعة "المستقبل" ١٩٢٤م لمؤسسها محمد شريف الأُسطة، وكانت جميعها في دمشق(٨٠).

تعرضت المطابع لرقابة شديدة فُرضتْ عليها من قبل سلطات الانتداب الفرنسي؛ وذلك خلال الثورة السورية عام ١٩٢٥م، بموجب القرار المرقم (٣٠٢ / س) والصادر في الأول من تشرين الثاني ١٩٢٥م؛ بهدف منعها من طباعة أي صحف أو منشورات سياسية تنشر أخباراً عن الأوضاع الأمنية في البلاد من شأنها التأثير في الرأي العام(٨١).

لم يثنِ قانونُ المطبوعات ومراقبة المطابع من قبل سلطات الانتداب الفرنسي السوريين عن تأسيس عدد من المطابع بعد انتهاء الثورة السورية، فأُنشئتْ مطبعة (بابيل أخوان) عام ١٩٢٧م، واستمرت المطابع بالظهور بعد قيام الحكم الوطني في سورية، إذْ أَسَّس محمد هاشم الكُتُبي في سنة ١٩٣٦م "المطبعة الهاشمية" وتخصَّصتْ هذه المطبعة بطبع الكتب المدرسية والمصاحف الشريفة والخرائط الملونة، التي كانت توزع على المدارس ودوائر الدولة(٨٢)، و"مطبعة الفرات" التي تأسَّست عام ١٩٣٦م في دير الزور(٨٣)، و"مطبعة السلام" و"الاندلس" و"المطبعة الحديثة" و"المطبعة الأهلية" و"مطبعة الدباغ" و"مطبعة العبيسي"، وجميعها نشأتْ في مدينة حماة في أواخر الثلاثينيات(٨٤).

ظلَّت المطابع تعيش حالةً من الحرية في ظل الحكم الوطني حتَّى اندلاع الحرب العالمية الثانية، ومع بداية الحرب تأثَّر بعضها وأصابها الركود؛ بسبب ظروف الحرب وما رافقها من ظروف اقتصادية وأمنية صعبة، أدَّت إلى إغلاق بعضها مثل: "مطبعة بدائع

الفنون" التي أغلقت أبوابها وباعها أصحابها مجزأة إلى جورج فارس، صاحب جريدة "الايكو الفرنسية" وإلى السيد السَّقَّال، صاحب "دار الطباعة العربية" في دمشق، إلا أنَّ هذا الركود لم يدمْ طويلاً فمع نهاية الحرب استطاعت الطباعة من النهوض مرةً أخرى؛ نتيجة دعم الحكومة السورية مع بداية العهد الوطني عام ١٩٤٣م، وما قام به وزير المالية خالد العظم في سنة ١٩٤٤م من إصلاح مطبعة الحكومة خير دليل على اهتمام الحكومة بالمطابع، وفي السنة الثانية تمكنت وزارة المالية من تخصيص مبلغ قدره (ثلاثمائة ألف ليرة سورية) لإنشاء مطبعة حديثة، انتهى بناؤها بعد الاستقلال وجلاء الفرنسيين عن سورية، وبعد أنْ تحررتْ سورية من قيود سلطات الانتداب الفرنسي شهدت المطابع تطوراً كبيراً، واستطاعت مواكبة التطور الحاصل في البلاد العربية الأخرى، بعد أنْ مُنعتْ منه طيلةَ فترة الانتداب[٨٥].

خامساً_ السينما والمسرح:

شهدت سورية أوجه عديدة للنشاط الثقافي في فترة الانتداب الفرنسيِّ (١٩٢٠-١٩٤٦م)، وكان المسرح من ضمنها، وعرفتْ سورية أيام الحكم العثماني اشكالاً من المسرح البدائي الشعبي المتنقل، والذي كان يعرف باسم "عجايب عجايب" و"الحكواتي" و"القرة قوز" و"المهرج" التي كانت سائدة آنذاك، وكان للفن المسرحي الذي شهدته لبنان فضلاً عن قدوم بعض الفرق الأجنبية إلى سورية، مثل: "الفرقة الفرنسية" الأثر الكبير في نهضة الفن المسرحي، إلا أنَّ الانطلاقة الحقيقية للنشاط المسرحي في سورية ارتبط بظهور "أبو خليل القباني" حوالي سنة (١٨٦٢م)، وهو رائد الحركة المسرحية في سورية، وبه يعرف بداية تاريخ المسرح السوري[٨٦].

استمرت الحركة المسرحية في سورية حتى بداية الحرب العالمية الأولى وشهدت قبل هذه الفترة تأسيس فرق مسرحية في دمشق فقد أسس "أحمد عبيد" أول فرقة مسرحيَّة عام ١٩١٢م، كما أسَّس "عبد الرزاق تأسيس" فرقته التي أسماها باسمه[٨٧].

لم يقتصر الأمر على تأسيس فرق مسرحية، فقد تأسست أيضاً دور للسينما في دمشق أثناء الحرب العالمية الأولى، فقد افتتح "جمال باشا" والي سورية عام ١٩١٦م سينما "جناق قلعة" إلا أنَّ الحركة المسرحية سرعانَ ما توقفتْ بسبب هزائم العثمانيين في أواخر الحرب. ومع نهاية الحرب وبداية الحكم العربي شهدتْ دمشق تأسيس سينما "زهرة دمشق" عام ١٩١٨م، وسينما "الإصلاح خانة" عام ١٩٢٠م[٨٨]، ولم يقتصر الفنُّ المسرحيُّ والسينمائيُّ

على دمشق فقط، فقد واكبتها مدن حمص وحلب وظهرت فيها، العديد من الفرق المسرحية ودور السينما، إذْ تأسست في حلب سينما "باتيه" لصاحبها باسيل ارسان عام ١٩١٨م، إلا أنَّها لم تلبثْ طويلاً بسبب احتراقها(٨٩).

لم تعمر الحركة المسرحية والسينمائية في سورية طويلاً في ظل الحكم العربي، إذْ سرعانَ ما وقعت سورية تحت الانتداب الفرنسي، ممَّا حدا بالفرق المسرحية إلى مزاولة المعارضة السياسية لسلطات الانتداب، ولاسيَّما بعد اندلاع الثورة السورية عام ١٩٢٥م، ممَّا دفع سلطات الانتداب الفرنسي إلى إغلاق بعضها والتضييق على البعض الآخر؛ بهدف منعها من التأثير على الرأي العام ومعارضة سياساتها الانتدابية وكل ما يمسُّ بمصالحها في سورية(٩٠).

كان المسرح السوري منذ بداية الانتداب الفرنسي حتى عام ١٩٢٥م في مواجهة سلطات الانتداب الفرنسي، وقد مارس بدوره النضال السياسي والوطني، وكان هذا النضال يزداد قوة فيزيد من درجة التوتر بين الحركة الوطنية وسلطات الانتداب الفرنسي، ولاسيما بعد إعلان الثورة السورية ١٩٢٥م، مما اضطر سلطات الانتداب الفرنسي إلى مواجهة هذه الثورة وإيقاف كل ما يمتُّ إليها بصلة أو يذكيها، فأدَّى ذلك إلى توقُّف الحركة المسرحية في سورية كلها، واستمر هذا التوقف طيلة فترة الثورة (١٩٢٥-١٩٢٧م)(٩١)، فقامت سلطات الانتداب الفرنسي بإغلاق العديد من المسارح ومراقبتها، مثال ذلك: إغلاق "فرقة التمثيل الوطنية" التي تأسست في حلب عام ١٩٢٥م، وكذلك فرقة "الصنائع النفيسة" بسبب مخالفتها تعاليم الرقابة الفرنسية(٩٢).

كانت الحياة المسرحية قد توقفت بعد دخول الفرنسيين لسورية، إلا أنَّ استمر النشاط المسرحي بقيَ قوياً وعنيفاً ولاسيَّما في مدينة حمص ومدينة حماة فقد شهدتا حركة مسرحية في الفترة من (١٩٢٠-١٩٢٥م) وكان من أبرز روادها الشيخ أمين الكيلاني، وقدمت الحركة المسرحية عدة عروض مسرحية منها: "حول الحمى" و"يا فتى العرب" و"جد بالطلب" و"سر فبالتعب تبلغ الأمل"(٩٣)، وتعدُّ الفترة من خروج الأتراك من سورية إلى الثورة السورية الكبرى ضد سلطات الانتداب الفرنسي (١٩١٨-١٩٢٥م) مرحلة تأسيس الفن المسرحي في سورية، ففي هذه الفترة ظهرت بدايات التأليف المسرحي الحديث(٩٤)، الذي ولد سياسياً طيلة هذه الفترة، مما جعل سلطات الانتداب الفرنسي تقف بوجهه طيلة فترة الثورة (١٩٢٥-١٩٢٧م)،

لكن المسرح لم يبقَ محافظاً على الاتجاه السياسي فقط، بل سارَ في الاتجاه الاجتماعي، الذي ولد تياراً جديداً وهو ما يعرف بـ"المسرح المحترف"(٩٥).

أخذ المسرح السوري بعد نهاية الثورة السورية الكبرى يغلب عليه الطابع الهزليُّ، وأصبح ارتزاقاً وفكاهةً، وكان سبب هذا التحوُّل، هو منع المسارح من العروض السياسية وكلّ ما يمتُّ إلى إذكاء الروح الوطنية لدى المجتمع السوري، إلا أنَّ المسرح شهد فترة تطور وانتعاش في فترة الثلاثينات؛ بفضل احتكاكه مع الفرق المسرحية التي كانت تصل إلى سورية مثل: فرقة "يوسف وهبي" التي ضمت إلى جانب يوسف وهبي كل من "جورج أبيض، ودولة أبيض، وزينب صدقي، وأحمد علام، ومختار عثمان"، وفرقة "فاطمة رشدي" وقد قوبلت الفرقتان في دمشق بالترحاب، وأقيمت لهما حفلات تكريم(٩٦).

قدمت الفرقة عدد من المسرحيات مثل: ("الكابورال، لديكو سيل" و"البؤساء، لهيجو"، "ايفان، لوداد عرفي"، ثم زارت الفرقة دمشق مرة أخرى عام١٩٣٢م، فاستقبلت استقبالاً كبيراً، وقدمت عدد من المسرحيات منها: "الاستعباد، وأولاد الذوات، ومجنون ليلى، وأولاد الفقراء والجبار"(٩٧).

اتسعتْ رقعة المسرح السوري في فترى الثلاثينات، فشملتْ مدناً سوريةً عديدةً بدايةُ الفنِّ المسرحيِّ مثل: مدينة اللاذقية التي بدأتْ تتعرَّفُ على المسرح منذ عام ١٩٢٨م، عندما زارتها "فرقة فاطمة رشدي" و"فرقة أمين عطا الله"، فتشكَّل فيها أول نادٍ موسيقيٍّ عام ١٩٣٦م وكانت له اهتمامات بالمسرح، وفي العام نفسه تأسس في مدينة القامشلي نادي الرافدين(٩٨).

بعد أنْ لاحظتْ سلطات الانتداب الفرنسي اهتمام السوريين بالمسرح، قامت باستقدام بعض الفرق الفرنسية الرسمية مثل: فرقة "غبرييل وروبين والكسندر" عام ١٩٣٠م وفرقة "ماري بيل وشارل بوابيه" فقدَّمتا عدداً من المسرحيات الحديثة في دمشق، إلا أنَّ العلاقة بين الفرق الفرنسية والمواطنين السوريين كانت متوترة، فقد رأى السوريون هذه الفرق رمزاً للاحتلال الفرنسي والغزو الثقافي، ولم يروها نشاطاً مسرحياً ثقافياً، فقابلوا هذه الفرق وعروضها بالتحدي(٩٩).

شهدت سورية في فترة الانتداب الفرنسي تأسيس عدد من الفرق المسرحية كفرقة "الصنائع النفيسة" التي تأسست في حلب عام ١٩٢٨م، وكانت تُعنى بالفنون الجميلة والأدب، وكان يشرف على التمثيل فيها "بشير عباس وسعد الدين قدسي"، إلا أنَّ هذه الفرقة لم تعمر

طويلاً، إذْ اصطدمتْ بالرقابة الفرنسية، فتأسَّسَ على أنقاضها نادي الفنون الجميلة عام ١٩٣٦م، الذي كان يُعنى بالفنون كافة، وكان يشرف عليه "محمد بحري وبشير عباسي وشرف الدين الفاروقي"، ثم تأسس نادي الموسيقى والتمثيل في حلب عام ١٩٢٩م[١٠٠].

أما في دمشق تأسس أكبر نادٍ فنيٍّ فيها، وهو نادي "الفنون الجميلة" الذي أسسه "توفيق العطري" عام ١٩٣٠م، وكان يقدِّمُ المسرحيات باللغة العربية الفصحى، ومن أبرز أعضائه "وصفي المالح وأديب محيش ورفيق جبري ومصطفى هلال وخالد نقشبندي"، وفي عام ١٩٣١م تأسس نادي "دار الألحان والتمثيل" على يد "عبد الوهاب أبو السعود"، إلا أنَّ النادي لم يدمْ طويلاً بسبب سفر مؤسسه إلى الخارج، فأُهمل وأُغلق فيما بعد، كما تأسس نادٍ آخر في دمشق عُرِفَ باسم "نادي إيزيس"، وضمَّ عدداً من الرواد مثل: "زاهد الغزي وسعيد جزائري وموفق الرملي وأنور المرابط"[١٠١].

ازداد تضييق سلطات الانتداب الفرنسي على المسارح مع اشتداد حدة الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال والحرية بعد عام ١٩٣٦م، إلا أنَّه لم يمنع من ظهور عدة نوادي وفرق مسرحية منها: "نادي التمثيل والموسيقى" عام ١٩٣٩م، و"نادي الفارابي" و"نادي دنيا الفن"، و"نادي صقر قريش"، و"النادي الفني"[١٠٢]، و"نادي الثريا" الذي تأسس في مدينة أدلب على يد كمال الأُسطة وأحمد فارس[١٠٣]، وقد عانت الحياة المسرحية بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وزاد التضييق عليها من قبل سلطات الانتداب الفرنسي ومراقبته لها؛ مما أخَّر تطوُّرها، مع وجود المحاولات العديدة إلا أنَّها اصطدمتْ بسياسة الانتداب الرامية إلى إبعاد المجتمع السوري عن واقعه العربيِّ وربطه بالثقافة الفرنسية[١٠٤]، ومع هذا كله فإنَّ المسرح ما لبثَ أنْ استعاد نشاطه مرة أخرى وشهد انطلاقة جديدة في ظل الحكم الوطني عام ١٩٤٣م، فظهرت المسارح في مدن سورية لأول مرة مثل: مدينة اللاذقية، التي تأسس فيها "النادي الموسيقي" عام ١٩٤٥م الذي عنيَ بالفنون الجميلة كافة، وقد استمر هذا التطور حتى الاستقلال وجلاء القوات الفرنسية عن سورية عام ١٩٤٦م[١٠٥].

أمَّا السينما فقد كان أول انطلاقة لها بعد الثورة السورية، فقد شهد عام ١٩٢٨م ولادة أول إنتاج سينمائي سوري متمثلاً بفلم: "المتهم البريء" على يد مجموعة من هواة السينما، وهم "أيوب بدري وأحمد تللو ومحمد المرادي" إذْ اتَّفقَ هؤلاء مع "رشيد جلال" وهو مصور سينمائي كان يملك كاميرا تصوير سينمائية، فأسس هؤلاء شركة "حرمون فلم"[١٠٦]، وقد تمَّ تصوير الفلم

في دمشق، واستمر التصوير لمدة ثمانية أشهر، وعرض أول مرة للتجربة في سينما "الكوزموغراف"، وتمَّ الاتفاق على عرضه في الدار نفسها، وتقدمت الشركة بطلب إلى السلطات الفرنسية للحصول على الترخيص لعرض الفلم، غير أنَّ السلطة الفرنسية منعتْ عرض هذا الفلم، بسبب وجود امرأة مسلمة في الفلم، وأنَّه لا يجوز ظهورها؛ لأنها مسلمة وغير محترفة، وطلبتْ تغيير المشاهد التي تظهر فيها المرأة، مما أخَّر عرض الفلم لعدة شهور، لم تستمر "شركة حرمون فلم" بالعمل بسب انسحاب رشيد جلال منها، وحلت الشركة بسبب نقص الأموال اللازمة لشراء معدات الإنتاج(١٠٧).

بعد توقف شركة "حرمون فلم" عن الإنتاج السينمائي، تأسست شركة سينمائية في سورية أواخر عام ١٩٣١م، تحت اسم "هيلوس فيلم" بعد أنْ اتفق رشيد جلال مع عطا مكي صاحب المكتبة العمومية آنذاك وخاله الحاج أديب خير والحاج رفيق الكزبري، وأسست الشركة برأسمال قدره أربعمائة ليرة عثمانية ذهبية، وأنتجتْ هذه الشركة ثاني أفلام السينما السورية في ظلِّ الانتداب، وهو فلم "تحت سماء دمشق"(١٠٨)، ولم يحقق فلم "تحت سماء دمشق" الصامت نجاحاً؛ بسبب عرض فلم عربي ناطق في سورية تحت اسم "أنشودة الفؤاد" مما سبب خسائر للشركة المنتجة بلغت ثلاثمائة ليرة عثمانية ذهبية، توقفت على أثرها الشركة عن الإنتاج نهائياً(١٠٩)، وبعد هذا الفلم أعادت شركة "حرمون فلم" عملها وأنتجت فلم "نداء الواجب" الذي أعقبته عدة محاولات سينمائية سورية(١١٠).

ضمَّتْ سورية عدداً من دور السينما في فترة الانتداب منها: "سينما الاصلاح خانة"، أنشأت عام ١٩٢٠م في دمشق، و"سينما النصر" عام ١٩٢٣م بالقرب من سوق الحميدية بدمشق، إلا أنَّها لم تستمر بالعمل بسبب تعرضها للحريق عام ١٩٢٩م، وتأسست "سينما الوكزموغراف" عام ١٩٢٤م في دمشق أيضاً لصاحبها توفيق الشماس، وفي الثلاثينات أُنشئت "سينما العباسية" و"سينما عائدة"(١١١)، و"سينما رويال" في حلب عام ١٩٢٣م(١١٢).

وضعت سلطات الانتداب الفرنسي دور السينما تحت المراقبة المسبقة، فمنعت عرض الأفلام أمام الجمهور قبل الحصول على ترخيص، واشترطت التراخيص؛ مراعاةً النظام العام، وعدم إثارة النعرات الطائفية، والمحافظة على هيبة سلطات الانتداب الفرنسي(١١٣).

ازدادت الرقابة الانتدابية على الحياة السينمائية في سورية مع بداية الثانية، فأَخضعتْ سلطات الانتداب الفرنسي جميع الأفلام السينمائية، وأفلام الحرب والإعلانات للمراقبة،

واشترطتْ الحصول على ترخيص من سلطات الانتداب الفرنسي قبل عرضها، فانعكست هذه الإجراءات سلباً على السينما، وقلَّلَ من مواردها المالية(١١٤).

كان الفرنسيون يقاومون وبشدة قيام صناعة سينمائية متطورة في سورية، وكانوا يرونها خطراً على وجودهم، فقامت بتشديد الرقابة على الأفلام، وحذف المشاهد التي ترى أنَّها ضد تواجدهم في سورية(١١٥).

في عام ١٩٤٣م تحررت السينما السورية من إجراءات ومراقبة سلطات الانتداب الفرنسي بعد قيام الحكم الوطني، فشهدت سورية نشاطاً سينمائياً كبيراً شمل معظم المدن السورية، ففي مدينة حلب بدأ نشاط كبير بين عامي ١٩٤٣-١٩٤٤م على يد الدكتور خالص الجابري ومهدي الزعيم، فقد صوروا أفلاماً عن بعض معالم مدينة حلب، وفي عام ١٩٤٥م تأسست "شركة الأفلام السورية المساهمة" وبلغ رأس مالها نحو مليون ليرة سورية، وفي عام ١٩٤٦م اتحدت ""شركة الأفلام السورية" مع شركة لبنانية باسم "الشركة السورية اللبنانية المساهمة المغلقة"(١١٦).

الهوامش

(١) سمية عبد الحميد المرهش، التعليم في سورية ومشكلاته الهامة، رسالة دبلوم عالي، مقدمة الى مجلس كلية الآداب / قسم الدراسات التربوية، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠م. ص١٠.

(٢) خيرية قاسمية، الحكومة العربيَّة في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠م، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م، ص٢٣٣ – ٢٣٤؛ بناء الدولة العربيَّة الحديثة، تجربة فيصل بن الحسين في سورية والعراق (١٩١٨-١٩٣٣م)، منشورات جامعة آل البيت، ١٩٩٩م، ص١٩٧.

(٣) حكمت علي إسماعيل، نظام الانتداب الفرنسي على سورية (١٩٢٠-١٩٢٨م)، بحث في تاريخ سورية من خلال الوثائق، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٨م ص٢٨٢.

(٤) محمد علي القوزي، دراسات في تاريخ العرب المعاصر، ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص٢٧.

(٥) حكمت علي إسماعيل، ص٢٨٣.

(٦) فيليب خوري، سورية والانتداب الفرنسي (سياسة القومية العربية ١٩٢٠-١٩٤٥م)، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٧٢م ص٤٦٠.

(٧) حكمت علي إسماعيل، ص٢٨٣.

(٨) بدر الدين السباعي، أضواء على الرأسمال الأجنبي في سورية (١٨٥٠-١٩٥٨م)، دار الجماهير، دمشق، ١٩٦٧م، ص٣١٩.

(٩) رودريك ماثيوز، ومتي عقراوي، التربية في الشرق الأوسط العربي، ترجمة: أمير تعطر، المطبعة العصرية، (د.ت)، ص٤٣٩ - ٤٤٠.

(١٠) نبيل صبيح، التعليم الثانوي في البلاد العربي، ط١، دار النهار، بيروت، ١٩٧١م، ص١٦٦.

(١١) صالحة سنقر، التربية قبل المدرسة الابتدائية، مطابع جامعة دمشق، (د.ت)، ص٢٣٦.

(١٢) عبد الرحمن حميدة، محافظة حلب، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٢م، ص٢٧٥.

(١٣) علي موسى ومحمد حربة، محافظة حماة دراسة طبيعية وتاريخية وبشرية واقتصادية، منشورات وزارة الثقافة، سورية، ١٩٨٥م، ص٤٦٦.

(١٤) مصطفى الشهابي، محاضرات في الاستعمار، ج٢، معهد الدراسات العربية، (د.م)، ١٩٥٦م، ص١٨٤.

(١٥) محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين، ط١، دار الراوي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م، ص٣٤٠.

(١٦) روجر أوين وخلدون ساطع الحصري وآخرون، الحياة الفكرية في المشرق العربي (١٨٩٠-١٩٣٩م) مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٣٨م، إعداد: مروان البحيري، ترجمة: عطا عبد الوهاب، ص١٦٢.

(١٧) عبد الرحمن الكيالي، مراحل في الانتداب الفرنسي ونضالنا الوطني، ج٤، ط١، مطبعة الضاد، حلب، ١٩٥٩م، ص٤٩٤.

(١٨) صباح مهدي ويس، الثورة السورية الكبرى وموقف الرأي العام العراقي منها (١٩٢٥-١٩٢٧م)، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص٥٢.

(١٩) حكمت علي اسماعيل، ص٨٣.

(٢٠) روجر أوين وخلدون ساطع الحصري، ص١٦٥.

(٢١) حكمت علي إسماعيل، ص٢٩٣.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٢٨٧-٢٨٨.

(٢٣) عبد الكريم رافق، تاريخ الجامعة السورية (البداية والنمو)، ط١، مطبعة ألف باء، والأديب، دمشق، ٢٠٠٤م، ص٨٣.

(٢٤) للمزيد عن الثورة السورية ينظر: سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى على ضوء وثائق لم تنشر.

(٢٥) الجلاء عن سوريا ١٧/نيسان/ ١٩٤٦م، منشورات الفرع الثقافي العسكري، المطبعة الرسمية، دمشق، (د.ت)، ص٤٤.

(٢٦) تاج الدين الحسني (١٨٩٠_١٩٤٣م) سياسي سوري مراكشي الأصل، ولد بدمشق وتوفي فيها، أبوه الشيخ بدر الدين المحدث المشهور، عيِّنَ مدرساً للعلوم الدينية في المدرسة السلطانية في دمشق عام ١٩١٢م، أصبح في العهد الفيصلي عضواً في مجلس الشورى، ثم في محكمة التمييز، ثم قاضياً شرعياً للعاصمة، تولى رئاسة الوزارة في عهد الانتداب الفرنسي من ١٩٢٨_ ١٩٣١، والثانية من عام ١٩٣٤_ ١٩٣٦، ثم استقال وسافر إلى باريس وأقام فيها، إلى أنْ عيَّنَهُ الفرنسيونَ رئيساً للجمهورية عام ١٩٤١م، وبقي في الحكم الى أنْ توفي عام ١٩٤٣م. "عبد الوهاب الكيالي الموسوعة السياسية: ج١/ ٦٦٨" .

(٢٧) الحكومة السورية في ثلاث سنين من (١٥شباط ١٩٢٨م إلى ١٥ شباط ١٩٣١م) على عهد رئاسة السيد محمد تاج الدين الحسني، مطبعة الحكومة، دمشق، ١٩٣١م، ص٤.

(٢٨) الحكومة السورية في ثلاث سنين من (١٥/شباط / ١٩٢٨م إلى ١٥ /شباط ١٩٣١م)، ص٣٢-٣٤.

(٢٩) الجلاء عن سوريا ١٧/ نيسان/١٩٤٦م، ص٤٤؛ وللمزيد عن المعاهدة ينظر: عبد الرحمن البيطار، الوحدة السورية اللبنانية تحت الاحتلال الفرنسي (١٩١٨-١٩٣٩م)، ط١، مطبعة اليمامة، حمص، ١٩٩٦م، ص٥٠-٥٣.

(٣٠) عبد الرحمن الكيالي: (١٨٨٧_ ١٩٦٩م) سياسي سوري، ولد بحلب ودرس فيها، وبعد تخرُّجه في الجامعة الأمريكيَّة في بيروت فتخرَّج فيها سنة ١٩١٤م، عضوٌ في جمعية حقوق الإنسان التي أَلَّفها عدد من السوريينَ، شارك في تأسيس حزب الشعب ١٩٢٤م، والكتلة الوطنية ١٩٢٧م، أُعتقل ونفي إلى جزيرة إرواد، وبعد عودته أُنتخب نائباً عن حلب في دورات ١٩٢٨، ١٩٣٦، ١٩٤٣، ١٩٤٧، وتولى وزارة العدل والأشغال العامة، اشترك في تمثيل سورية في عصبة الأمم في أيلول ١٩٤٨م."عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية: ج٣/ ص٨٣٠".

(٣١) عبد الرحمن الكيالي، المراحل في الانتداب الفرنسي ونضالنا الوطني، ج٤، ط١، مطبعة الضاد، حلب، ١٩٥٩م، ص٤٩٤.

(٣٢) عبد المنعم الأحمد، الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في مدينة حلب خلال فترة الانتداب الفرنسي (١٩٢٠-١٩٤٦م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، ٢٠٠٤م ص١٢٠.

(٣٣) محمد منير موسى، التعليم في البلاد العربية، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م ص١٧٨.

(٣٤) رودريك ماثيوس ومتي عقراوي، ص٤٢٢.

(٣٥) محمد منير موسى، ص١٧٩.

(٣٦) صالحة سنقر، المناهج التربوية، مطبعة جامعة دمشق، (د.ت)، ص٢٤٥-٢٤٦.

(٣٧) العهد الوطني في ثلاث سنوات (١٩٤٤-١٩٤٥-١٩٤٦م)، الجمهورية العربية السورية، وزارة الاشغال العامة، (د.ت)، ص١٣-١٤ .

(٣٨) للمزيد عن الخلافات بين الحكومة السورية وسلطات الانتداب ينظر: ستيفن هامسلي لونغريغ، ص٤٢٩-٣٣٧.

(٣٩) محمد منير موسى، ص١٧٩.

(٤٠) وزارة المعارف السورية، تقارير عن أحوال المعارف السورية خلال سنة ١٩٤٥م، اعداد: ساطع الحصري، مطبعة الجمهورية، (د. م)، ١٩٤٦، ص٣٣ .

(٤١) رودريك ماثيوز ومتي عقراوي، ص٤٥٩.

(٤٢) المصدر نفسه، ص٤٩١-٤٩٢

(٤٣)هند فتال ورفيق سكري، تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر، جروس برس للطباعة، (د.ت)، ص٢٤٣.

(٤٤) منذر الموصلي، الصحافة السورية ورجالها (إعلام ...وأعلام) ط١، دار المختار، دمشق، ١٩٩٧م، ص٩٧-٩٩.

(٤٥) شمس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية (١٩١٨-١٩٤٧م)، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م، ج٢، ص٢٥.

(٤٦) المصدر نفسه: ج٢، ص٣٠.

(٤٧) حكمت علي إسماعيل، ص٣٠٣.

(٤٨) جوزيف الياس، تطور الصحافة السورية في مائة عام (١٨٦٥-١٩٦٥م)، ج٢، ط١، دار النضال، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢١ .

(٤٩) شمس الدين الرفاعي، ج٢، ص٣٠-٣١.

(٥٠) أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، ط١، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩١٦م، ص٣١١-٣١٢.

(٥١) محمد مروان مراد، دمشق سجل الإبداع الفكري، ط١، دار الشرق للطباعة، ٢٠٠٧م، ص ١١٩-١٢٠.

(٥٢) عبدالرحمن حميدة، محافظة حلب، سلسلة بلادنا (١)، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق،١٩٩٢، ص٢٨١ .

(٥٣) هاشم عثمان، تاريخ اللاذقية (٦٣٧-١٩٦٤م)، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٦م، ص٢٨٨.

(٥٤) علي موسى ومحمد حربة، ص٤٩٠-٤٩١.

(٥٥) وليد المعلم، سورية (١٩١٦-١٩٤٦م) الطريق إلى الحرية، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨م، ص١٧١-١٧٢ .

(٥٦) جين سعيد المقدسي ونادیا الشيخ ونازك سابايارد وآخرون، النساء العربيات في العشرينات، (حضوراً وهوية) دار الصنائع للنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص٩٦-٩٧.

(٥٧) حكمت علي إسماعيل، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٥٨) أديب مروة، ص٣٠٦-٣٠٧

(٥٩) حكمت علي إسماعيل، ص٣٠٤-٣٠٥.

(٦٠) شمس الدين الرفاعي، ج٢، ص٤٨-٤٩.

(٦١) منذر الموصلي، الصحافة السورية ورجالها (إعلام.. وأعلام)، ص١١٧.

(٦٢) هاشم عثمان، الصحافة السورية ماضيها وحاضرها (١٨٧٧-١٩٧٠م)، ط١، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٧٧م، ص٨٨ .

(٦٣) جوزيف إلياس، تطور الصحافة السورية في مائة عام(١٨٦٥-١٩٦٥م)، ج٢، ط١، دار النضال، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٠.

(٦٤) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٦٥) للمزيد عن الحركة الوطنية، ينظر: فهمي أحمد فرحان، الكتلة الوطنية في سورية ١٩٢٨_ ١٩٤٦م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الأنبار، ٢٠٠٥م .

(٦٦) منذر الموصلي، الصحافة السورية ورجالها (إعلام.. وأعلام)، ص١٢٦-١٢٧.

(٦٧) هاشم عثمان، الصحافة السورية ماضيها وحاضرها (١٧٨٨-١٩٧٠)، ص١٣٤-١٣٥.

(٦٨) أديب مروة، ص٣١٦.

(٦٩) شكري القوتلي (١٨٩٢-١٩٦٧): سياسي عربي سوري، ورئيس جمهورية سابق، ولد بدمشق وتلقَّى علومه الابتدائيَّة في مدرسة الآباء العازريينَ، والعلوم الثانوية في المدرسة الإعدادية، والعالية في الكُليَّة الشَّاهانيَّة في الاستانة، وهو من المناضلينَ العرب، عمل في العديد من الجمعيات الوطنيَّة، واعتقل في الحرب العالميَّة الأولى، شارك في تكوين الكتلة الوطنية، وانتخب نائباً عن دمشق عام ١٩٣٦م، تولى في أول حكومة وطنية وزارتي المالية والدفاع، عيِّنَ رئيساً للجمهورية من قبل الفرنسيين عام ١٩٤٣م، وقد تم الجلاء في فترة رئاسته، وأعيد انتخابه رئيساً للجمهورية إلى أنْ أطيح به عام ١٩٤٩م بانقلاب قام به حسني الزعيم، للمزيد من التفاصيل ينظر: يوسف جبران غيث، شكري القوتلي ودوره في تاريخ سورية (١٨٩١-١٩٥٨م) أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨.

(٧٠) عطا الأيوبي (...) سياسي سوري من الرعيل الأول في الحركة الوطنية، دخل الوزارة الأولى على عهد الانتداب الفرنسي، تولى وزارة الداخلية في حكومة علاء الدروبي التي تألفت على أثر معركة ميسلون، كما تولى وزارة العدل عام ١٩٣٤م، ثم قام بتشكيل الوزارة عام ١٩٣٦م، جرى خلال حكمه التوقيع على المعاهدة

السورية الفرنسية ١٩٣٦م، استقالت وزارته في العام نفسه، وخلفه جميل مردم، ترأس الحكومة المؤقتة ١٩٤٣م. "عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج٤/ ص١٢٣_ ١٢٤ " .

(٧١) منذر الموصلي، الصحافة السورية ورجالها (إعلام.. وأعلام)، ص١٣٣.

(٧٢) المصدر نفسه، ص١٤٢.

(٧٣) المصدر نفسه، ص٢٢٤-٢٢٧ .

(٧٤) هاشم عثمان، الصحافة السورية ماضيها وحاضرها (١٨٧٧-١٩٧٠)، ص١٥٤-١٥٨.

(٧٥) أديب مروة، ص٣٠٧ .

(٧٦) أنيس زكريا نصولي، أسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر، ط٢، دار الجديد، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ص٧٩ .

(٧٧) محمود فيصل الرفاعي، حلب بين التاريخ والهندسة، مطبعة جامعة حلب، ١٩٩٦م، ص١٠٩.

(٧٨) محمد مروان مراد، دمشق سجل الإبداع الفكري، ط١، دار الشرق للطباعة، ٢٠٠٧م، ص٢٩٥.

(٧٩) خليل صابات، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص١٠٧-١٠٨.

(٨٠) محمد مروان مراد، ص٢٩٥.

(٨١) حكمت علي إسماعيل، ص٣٠٧.

(٨٢) خليل صابات، ص١١٠.

(٨٣) علي حسن موسى، محافظة دير الزور، دراسة طبيعية وتاريخية وبشرية واقتصادية، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٣م، ص١٦٥.

(٨٤) علي موسى ومحمد حربه، ص٤٨٨.

(٨٥) خليل صابات، ص١١٤-١١٥ .

(٨٦) مصطفى محمد حسين شهاب، موسوعة المسرح العربي (المسرح العربي "تاريخ وتقويم" ١٨٤٧-١٩٧٥م)، ط١، دار المواسم للطباعة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٢٧-١٢٨.

(٨٧) فرحان بلبل، المسرح السوري في مئة عام (١٨٤٧-١٩٤٦م)، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٧م، ص١٦٤.

(٨٨) محمد قاسم الخليل، ذاكرة السينما في سوريا، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠٠٣م، ص٤-٧ .

(٨٩) فرحان بلبل، ص ١٦٧.

(٩٠) عدنان بن ذريل، رواد المسرح السوريين بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٢م، ص٢٣.

(٩١) فرحان بلبل، ص٢٠١.

(٩٢) عدنان بن ذريل، رواد المسرح السوري بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات، ص٣٣ .

(٩٣) فرحان بلبل، ص١٥٤.
(٩٤) المصدر نفسه، ص ١٥٥.
(٩٥) المصدر نفسه، ص١٥٧-١٥٩.
(٩٦) عدنان بن ذريل، رواد المسرح السوري بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات، ص ١٢-١٣.
(٩٧) المصدر نفسه، ص ١٤-١٥.
(٩٨) فرحان بلبل، ص ٢٤١-٢٤٢.
(٩٩) المصدر نفسه، ص ٢١٥.
(١٠٠) عدنان بن ذريل، رواد المسرح السوري بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات، ص ٢٦.
(١٠١) المصدر نفسه، ص٢٧-٣٠.
(١٠٢) عباس قلعجي، الحياة المسرحية في حلب، مجلة الحياة المسرحية، العدد ٣٦، ١٩٨٦م، ص٤٣.
(١٠٣) مروان فنري، لمحات من تاريخ المسرح في محافظة أدلب، مجلة العاديات، العدد الثالث، السنة الرابعة، ٢٠٠٧م، ص٨٩.
(١٠٤) فرحان بلبل، ص ١٣٤-١٣٥.
(١٠٥) عدنان بن ذريل، رواد المسرح السوري بين أواسط العشرينات وأواسط الستينات، ص ٢٧-٣٠.
(١٠٦) جان الكسان، تاريخ السينما السورية (١٩٢٨-١٩٨٨م، ط١، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٧م، ص٢٢-٢٤.
(١٠٧) المصدر نفسه، ص٢٩.
(١٠٨) جان الكسان، السينما في الوطن العربي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٥١، مطابع الانباء، الكويت، ١٩٨٢م، ص١٢٧.
(١٠٩) جان الكسان، تاريخ السينما السورية (١٩٢٨-١٩٨٨م)، ص ٣٢-٣٣.
(١١٠) الأفلام السورية في خمسين عاماً، مجلة الحياة السينمائية السورية "العدد الاول"، ١٩٨٧م، ص٢٥ .
(١١١) محمد قاسم الخليل، ذاكرة السينما في سوريا، منشورات وزارة الثقافة السورية، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٧-٩.
(١١٢) المصدر نفسه، ص١٢٠.
(١١٣) عيدا محمد زين الدين، التطور الاجتماعي والاقتصادي لمدينتي بيروت ودمشق في عهد الانتداب الفرنسي، أطروحة دكتوراه مقدمة الى المعهد العالي للدكتوراه في الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠٠٩م ص ٦٦٥.
(١١٤) جان الكسان، تاريخ السينما السورية (١٩٢٨-١٩٨٨م)، ص ٣٥.
(١١٥) محمد قاسم الخليل، ص ١٨.
(١١٦) المصدر نفسه، ص ١٢٢.